

تعليمية القواعد النحوية ودورها في بناء المهارة اللغوية

Grammar education and its role in building language skill

* مختار بزاوية

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)،

mokhtar.ezzaouya@univ-mascara.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2022 / 12 / 29	2022 / 12 / 25	2022 / 05 / 23

ملخص البحث

تعدّ القواعد النحوية فرعاً من فروع اللغة العربية، التي كان لها الاهتمام الكبير من قبل المتخصصين في أصول التدريس وطرائقه، وهذا لما تحتويه من قوانين وأسس تتربّع عليها اللغة، وتكمن أهميتها في أنها تعمل على تقويم ألسنة التلاميذ وتجنّبهم الخطأ في الكلام والكتابة، ولكنّ المشكلة التي اعترضت ومازالت تعترض المدرّسين، هي صعوبة تدريس هذه القواعد النحوية ومدى مساهمتها في تحقيق الكفاءة والمهارة اللغوية لدى المتعلمين، ففي الوطن العربي مازال المدرسون يشكون من ضعف المتعلمين في الأطوار المختلفة في استعمال اللغة العربية مشافهة وتحريراً، مما أسفر عن البحث عن حلول جذرية لذلك، ولعلّ تعليمية اللغة والقواعد النحوية خاصة، باختيار طرائق التدريس المناسبة هي الحل الأمثل لهذا المشكلة. لذا قد اخترت في هذا البحث معالجة هذا المشكل اللغوي العويص من خلال اللسانيات التطبيقية، وبالأخص تعليمية اللغات، من أجل تدريس القواعد النحوية، والسبل الكفيلة لتقريبها للطلبة والدارسين، وصناعة المهارة اللغوية لديهم انطلاقاً من مجموعة من الآليات والوسائل التي تضمن ذلك معتمداً المنهج الاستقرائي القائم على الوصف والتحليل.

الكلمات المفتاحية: القواعد ، النحو ، المهارة ، التعليمية

Abstract

Grammar is a branch of Arabic language, which has been of great interest by teaching professionals and methods. This is because it contains laws and foundations on which the language is based, and its importance is that it works to correct pupils' tongues and avoid them from being wrong in speaking and writing. But the problem that has been and continues to be encountered by teachers is the difficulty in teaching these grammar rules and the extent to which they contribute to the learners' language competence and skill. In the

Arab world, teachers continue to complain about the vulnerability of learners in different phases in the use of the Arabic language. s education and grammar, choosing appropriate teaching methods is the best solution to this problem. In this research, I have chosen to address this daunting linguistic problem through applied linguistics, especially language teaching, in order to teach grammatical grammar, ways to bring it closer to students and scholars, and the language skill industry, based on a range of mechanisms and means that ensure the adoption of a descriptive and analytical inductive curriculum.

Key words: rules, grammer, skill, educational.

مقدمة:

كان النَّحو العربي لونا من ألوان النشاط الذهني الذي فرضته طبيعة الحياة وتطور المجتمع، وخاصة حينما أحسَّ العرب في منتصف القرن الأول الهجري بخطر يهدد لغتهم وقرآنهم بسبب ما نشأ من اللحن على ألسنة الأعاجم والموالي، الذين دخلوا الإسلام بعد الفتوحات، وخاصة عند قراءاتهم للقرآن. فكان النَّحو العربي ثمرة من ثمرات الدراسات القرآنية التي مرّت بمراحل متعددة، توجت بنشأة النَّحو للحفاظ على القرآن الكريم والحرف العربي المشرف، فقد كان الحرص كلَّ الحرص على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة، أضف إلى ذلك رقيَّ العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموّاً أعدّه للتّهووس برصد الظواهر اللغوية، وتسجيل القواعد وتنظيم الأقيسة، إذانا بنشأة هذا العلم الجديد وهو النَّحو العربي.

وسرعان ما خضع النَّحو العربي إلى المراحل الطبيعية التي يخضع لها أي علم، فنما وتطور وبخط سريعة، حتى أضحي علماً في أوج التطور والازدهار، تُصنّف فيه الكتب والمدونات، وتكثر فيه المذاهب والاختلافات. ولكنَّ هذا النَّحو الذي كان في بداية أمره مجالس للعلماء يكثر فيها إنشاد الأشعار وتدارس الأخبار ثم استنباط القواعد، أصبح في غاية التكلف والتعقيد والتمخّل، وكثرة الأبواب النحوية والتفريعات، والمصطلحات الغريبة التي لا مبرّر لها، وتعدد أوجه الإعراب في المسألة الواحدة، وتنوّع مقتضياتها والإغراق في القياس والتعليل.. وكلّ هذه العيوب التي ذكرنا انعكست على التحصيل للعلمي لتلاميذنا، فنلاحظهم يرتكبون الأخطاء النحوية واللغوية الكثيرة، بل وتستمر هذه الأخطاء معهم حتى في أطوار تعليمية متأخرة قد تصل إلى المرحلة الجامعية رغم أنهم قد مروا على دراسة هذه القواعد في مراحل عدة. وهنا دعا كثير من النحويين واللغويين إلى تيسير النحو وتبسيطه للنشأة والتلاميذ.

ولكن ما الأسباب العميقة التي دعت إلى تيسير النحو؟ ومتى بدأ التيسير فعلاً؟ وما هي المحاولات الناجحة لذلك؟ ولماذا لا يتحكم بعض المتعلمين في القواعد الإملائية؟ وهل يرجع ذلك إلى صعوبة قواعد اللغة العربية في حد ذاتها؟ أم يرجع إلى عوامل أخرى؟ وهل تيسير النحو في تيسير تعلّمه؟ وهل لصعوبة القواعد علاقة بالمستوى العام للمتعلمين؟

تلك إشكاليات حاولت الإجابة عن بعضها، مع العلم أنّ هذه الدراسة لم تنطلق من فراغ، فلقد أجريت العديد من الدراسات السابقة في هذا الموضوع، قديماً وحديثاً تمثلت في مؤلفات وبحوث ومقالات ومؤتمرات. فمنها القديمة وقد عنيّت بالجانب النظري والتعليمي؛ فعلى المستوى التعليمي، ظهرت محاولات يُعرف من عناوينها رغبة مؤلفها في التيسير والإيضاح والإرشاد، وطغيان الجانب التعليمي عليها، فقد ألّف خلف الأحمر "مقدمة في النحو" يريد بها تيسيراً على المبتدئين، وألّف الكسائي "مختصر في النحو"، وألّف ابن خياط "الموجز في النحو"، وابن النحاس "التفاحة"، وابن جني "اللمع"، وابن قتيبة "تلقيّن المتعلم"، وابن خالويه "المبتدئ"، إلى غيرها من المؤلفات التي نحت هذا النَّحو. أمّا على المستوى النظري فوجدت حركة إصلاح عند بعض النحاة من أمثال ابن حزم، وابن مضاء، وابن رشد، وابن الأثير، وابن خلدون، وأشدّها وقعا وأكثرها شهرة محاولة ابن مضاء القرطبي التي هزّت عروش النحويين، ورفضت نحوهم الكلاسيكي جملة وتفصيلاً.

واستمرّت محاولات النّحاة في تيسير النَّحو خلال العصور الماضية، كمحاولات أصحاب المتون والمختصرات والشروح والحواشي. ولكنَّ هذه المحاولات وغيرها لم يُكتب لها النّجاح، لتخليص النَّحو من صعوباته ومشاكله، ورفع القيود المنطقية عنه،

مع كثرة الخلافات والتفريعات، بل إنها قد زادت من تعقيده وحالت دون تعلّمه، بعد أن نفر منه الطلبة والدّارسون، وأضحى علما بعيدا عن واقع الحياة.

وفي العصر الحديث يكاد يُجمع المعاصرون على أنّ عدم التوفيق في دراسة اللغة العربية مردّه إلى صعوبة النحو، فدعوا إلى تيسير وتبسيط وتجديد النّحو العربي، واتخذت هذه المحاولات صورا متعددة، وأشكالا مختلفة، اتسم بعضها بالاعتدال، واتسم البعض الآخر بالتطرف والمغالاة، ولكنهم أغفلوا جانبا انتبه إليه بعض الباحثين وهو وجوب التفريق بين النحو العلمي والتعليمي، فالنحو العلمي هم ذلك العلم الدقيق الذي يفقه تفاصيله الباحثون والمتضلعون في علم النحو، والنحو التعليمي هو ما وجب تعليمه للطلبة والناشئة بحد معين يستطيعون من خلاله تعلم العربية وتوظيفها في مجالات حياتهم، ومن هنا تتدخل اللسانيات التطبيقية لتبرز لنا طرق تعليم النحو وقواعده وتبسيطها للطلبة بمناهج حديثة نخدم العملية التعليمية التعلمية. والمنهج الذي يُمكن اعتماده في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي القائم على الوصف والتحليل.

أولا- مفهوم القواعد النحوية:

تحتل القواعد النحوية مكانة بارزة في مراحل التعليم المختلفة، فابن خلدون يعدّ النحو أهم علوم اللسان العربي قاطبة، إذ يقول: «أركان علوم اللسان أربعة هي: اللغة والنحو والبيان والأدب، وإنّ الأهم المتقدم منها هو القواعد إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة»¹. وتعرّف القواعد النّحويّة بأنّها: «علم تراكيب اللغة والتعبير بها، والغاية منها صحة التعبير وسلامته من الخطأ واللحن، فهو قواعد صيغ الكلمات وأحوالها حين إفرادها وحين تركيبها»².

ويعرّفها د. محمد إسماعيل ظافر بأنّها: «فن تصحيح كلام العرب كتابه وقراءة، وهي تعنى بالإعراب وقواعد تركيب الجملة، اسمية كانت أم فعلية ذلك دراسة العلاقات في الجملة وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، كما أنّها تعني مجموعة القواعد التي تنظم هندسة الجملة أو مواقع الكلمات فيها ووظائفها من ناحية المعنى وما يرتبط بذلك من أوضاع إعرابية تسمّى علم النحو، أما مجموعة القواعد التي تتصل ببنية الكلمة وصياغتها ووزنها، والناحية الصوتية تسمّى علم الصرف»³.

والمتمأل لهذه التعريفات يجد الأخير منها شاملا وملما لمفهوم القواعد النحوية من نحو وصرف وإعراب، فهي تصحيح الكلام كتابة وقراءة، وتبين لنا قواعد تركيب الجملة من ناحية أنّها اسمية أو فعلية مثبتة أو منفية وغيرها، فدورها تنظيم هندسة الجملة بمعنى جعلها منسقة منضبطة بعلاماتها الإعرابية من نصب وضم وجر وجزم، وتبين لنا العلاقات كالعلاقات الإنسانية والإضافية، فهذا التعريف ذكر لنا الوزن والصرف وبنية الكلمات أي أنّ هاته القواعد النحوية تقوم بكل ما يخصّ الجمل بصفة عامة والكلمات بصفة خاصة.

ثانيا- أهمية تدريس القواعد النّحويّة:

للقواعد النّحويّة أهميّة بالغة عند جمهور العلماء والدارسين والباحثين، فهي المهارة اللغوية التي لا يمكن الاستغناء عنها في الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة. وتعليم القواعد النحوية يتم في جميع مراحل التعليم العام (الابتدائي- المتوسط- الثانوي) مع مراعاة النمو العقلي للتلاميذ فيما يعرض عليهم من قواعد نحوية.

وقديما كان علماؤنا يرون أنّ النّحو هو الذي يعصم اللسان من الخطأ في لغة التخاطب، لأنّ العرب كانت تستقبح اللحن في الكلام، وتحرص على إصلاح ألسنتها، ومن أقوالها المأثورة: "المرء مخبوء تحت طيّ لسانه"، ومن أجل ذلك تجنبت العرب اللحن في كلامها، بل كانت توصي أبناءها بإصلاح ألسنتهم، حتّى قال أحدهم لبنينه: «يا بنيّ أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيتحمل فيها، فيستعير من أخيه دابته، ومن صديقه ثوبه، ولا يجد من يُعيّره لسانه»⁴.

إذن فأهميّة القواعد النّحويّة تكمن فيما يترتب عنها من استقامة الألسنة، فهي وسيلة لتجنب الأخطاء أثناء الحديث والكتابة والقراءة، فإذا ما أحسن التلميذ بموقف لغوي صعب رجع إلى القاعدة كي يُصوّب نفسه، وهي تنمي قدرات التلاميذ على

التفكير والتعليل والاستنباط، وتُعَوِّدُهم دَقَّةَ الملاحظة، والموازنة بين التراكيب المختلفة والمتشابهة. وهذه الجوانب من الأهداف الهامة التي تسعى المدرسة لتحقيقها. كما أنها تُمرِّتهم أيضا على دَقَّة التفكير، وعلى البحث العقلي، والقياس المنطقي⁵.

ثالثا- صعوبة القواعد النحوية:

مما لا يخفى على أحد أنَّ الشَّكوى من النَّحو العربي ومن قواعده قديمة قدم نشأته، فلم يخلُ زمان من التَّعرض لها، وحسبنا في ذلك تذرُّم الدَّارسين قديما وحديثا من النَّحو ومن صعوبة فهمه وإدراك قوانينه، والإعراض عنه وانتقاد حَمَلَتِهِ من النَّحويين واللغويين، وهذا يعكس بمرارة معاناة أهله وأصحابه، فضلا عن الوافدين عليه من غير أهل العربية.

وإذا نظرنا إلى ما بين أيدينا من تراث ضخيم في النَّحو العربي عبر أربعة عشر قرنا ونيف، وما حواه من ورق ومدونات وتآليف، فإننا نستطيع أن ندرك تلك القضايا الشائكة التي أثارها النحو، وما وقع حولها من جدل وخلاف، جرت على إثرها أقلام القدماء والمحدثين، بدءا بتاريخ نشأته، فكثرة مذاهبه، ومرورا بجموده وتعقده، ووصولا إلى محاولات تيسيره وتجديده.

وما من شك أنَّ التراث النَّحوي الذي تركه أسلافنا لنا نفيس غاية النَّفاسة، وأنَّ الجهد المبذول فيه خلال الأزمان المتعاقبة جهد جدير بالتقدير والاحترام. بيد أنَّ النحو كسائر العلوم الأخرى، بدأ بسيطا ثمَّ نما وتطوَّر، فداخله التعقيد ممَّا نحا به نحو الجمود والاستقرار، فأصابه الوهن والضعف.

كما أنَّ الشَّكوى من قواعد النَّحو ظلَّت تنتقل من جيل إلى جيل، وفي عصرنا ارتفعت الصَّيحات مطالبة بتيسير النَّحو وقواعده⁶. يقول د. علي أبو المكارم: «لعلَّ من المُسَلَّم به عند كثير من الباحثين والدَّارسين أنَّ النَّحو العربي بقدر من الصَّعوبة كبير. ولقد أدرك هذه الصَّعاب شيوخ النَّحو وأعلامه كما أحسَّها تلاميذه، وليس من شكِّ في أنَّ نمط المصاعب التي تواجه أولئك غير التي يلمسها هؤلاء، بيْد أنَّ النتيجة التي ينتهي إليها أولئك وهؤلاء جميعا هي وجود هذه المصاعب التي تجعل من النَّحو العربي علما ينبغي أن تتوفَّر الجهود عليه، لتذليل صعابه، وتبسيط مسأله، وتيسير الاتصال به سواء للباحثين فيه، أو الدارسين له»⁷.

رابعا- تعليمية القواعد النحوية:

للخروج من مأزق صعوبة النَّحو العربي والرافضين لتعليم قواعده، اقترح الباحثون المعاصرون حلولاً تكمن في تيسير تعليم قواعده، وهذا ما اصطلح عليه بـ "تعليمية القواعد النحوية"، لأنَّ التعليمية منهج حديث يقوم على "الدراسة العلمية لطرائق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم حالات التعلم التي يخضع لها المتعلم بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحس حركي"⁸.

وما دام النَّحو فرعاً من فروع اللغة وهو وسيلة لضبط الكلام وتصحيح الأساليب، وأحد الأدوات التي تساعد المتكلم على إدراك مقاصد الكلام وفهم المسموع والمقروء فهما صحيحا، فلا ضير أن يخضع لتعليمية اللغات، فهي وسيلة إجرائية من شأنها أن ترقى بقدرات المتعلم لاكتساب المهارات اللغوية. وأهم العناصر التي سأتطرق إليها في تعليمية النَّحو العربي هي: علاقة النَّحو بالمهارات اللغوية، والإجراءات العملية، وطرائق التدريس.

1- علاقة النَّحو بالمهارات اللغوية:

في تعليمية النَّحو العربي يجب إيجاد العلاقات الوطيدة بين النَّحو والمهارات اللغوية، وهي تتلخَّص في ثلاث علاقات: علاقة النَّحو بمهارة الاستماع، وعلاقته بمهارة المحادثة، وعلاقته بمهارة القراءة والكتابة⁹.

أ- علاقة النَّحو بمهارة الاستماع:

يعدُّ الاستماع إحدى المهارات اللغوية، ويُقصد به الإنصات والفهم والتفسير، ولقد أثبتت الأبحاث اللغوية أنَّ المرء حالة الاستماع، إيجابي فعَّال، إذ إنه يعمل على فكِّ الأصوات التي تصل إليه من المرسل، ويعمل على فهمها والحكم عليه، حيث يُسهم النحو في ذلك عن طريق الاستماع فيكتسب الفرد المفردات، فتتنامى مهارة الاستماع التي تساعد في نمو الانطلاق في الحديث، والمستمع أقدر على فهم الجمل الطويلة المعقَّدة.

ب- علاقة النحو بمهارة المحادثة:

تُعدّ المحادثة المهارة الثانية بعد الاستماع وهي الوسيلة للتعبير الأولي قبل مهارة الكتابة والمحادثة، وهي وسيلة المرء لإشباع حاجاته وتنفيذ متطلباته في المجتمع الذي يحيا فيه، وهي الأداة الأكثر تكرارا وممارسة واستعمالا في حياة الناس، فالتراكيب والأساليب والأنماط اللغوية المستخدمة في المحادثة هي عناصر النحو، والقواعد ليست غاية في حد ذاتها ولكنها وسيلة لصحة الأسلوب وسلامة التركيب وتقويم اللسان من الاعوجاج والزلل.

ج- علاقة النحو بمهارة القراءة والكتابة:

من أهداف النحو تدريب الطلبة على ضبط لغتهم حديثا وقراءة وكتابة، بشكل يتلاءم مع تدرج مستواهم العقلي واللغوي في سلم التعلم التصاعدي، وإثراء ثروة الطلاب اللغوية بما يكتبون من مفردات وتراكيب وأنماط، وهذا من خلال قراءة النصوص والقدرة على اكتشاف الخطأ عند مشاهدته مكتوبا أو مسموعا.

إذن فالنحو جاء مرتبطا ارتباطا شديدا بالمهارات اللغوية، فهو يقوم بضبط المسموع وفهمه وترسيخه في ذهن المتعلم، ويقوم بترتيب المفردات والجمل بشكلها الصحيح والتدريب على نطقها بشكلها الصحيح والفصيح، ومع هذا كله نستطيع القول أن النحو جاء ليضبط اللغة من الخطأ سواء أكان ذلك في شكلها المسموع أو المنطوق أو المكتوب¹⁰.

2- الإجراءات العملية:

تقتضي تعليمية اللغات في إجراءاتها العملية اتباع منهجية علمية واضحة تركز على القضايا التي يجب تعليمها وعلى الترتيب المتبع في تعليمها، وكذا على طرق تقديم المواد وممارستها، وتتضمن تعليمية اللغات الإجراءات العملية التالية: التحليل اللساني، واختيار المادة اللغوية، وعرض المادة اللغوية، والتدرج في تعليم المادة اللغوية، والتمرين اللغوي¹¹.

أ- التحليل اللساني:

يُعتبر التحليل اللساني وسيلة للتوصل إلى وصف اللغة وصفا دقيقا وعلميا، وله تأثير واضح على المنهجية المتبعة في تعليم اللغة، وليس بمقدور مُعلِّم اللغة أن يُعلِّم مادته ما لم يكن مُلمّا ببنى اللغة وتنظيم القواعد القائم ضمنها¹². وبالتالي فاستاذ اللغة لا يكون في غنى عن الحصيلة المعرفية للنظرية اللسانية المعاصرة¹³.

ب- اختيار المادة اللغوية:

ترتكز تعليمية النحو على اختيار المادة النحوية المناسبة من الركام الهائل المدون في علوم اللغة والنحو العربي، وهنا تكمن أهميته في العملية التعليمية، ذلك أن رصيد كل لغة من القواعد النحوية أكبر من أن يُقدّم في مستوى واحد من المستويات التعليمية، ولهذا تخضع موضوعات النحو لعملية الانتقاء، إذن "أن نُعلِّم معناه أن تختار"¹⁴.

ج- عرض المادة اللغوية:

لعرض المادة اللغوية دور هام في إنجاح العملية التعليمية، ومعلم اللغة مؤهل من خلال تكوينه الأولي على إتقان عمليتي العرض والتقديم للمادة اللغوية بصورة تهدف إلى تطوير ملكة التلاميذ اللغوية، والأسئلة التي بالإمكان أن نطرحها في هذه النقطة، والتي شأنها أن تدفع أستاذ اللغة إلى وضع استراتيجية محكمة لعرض وتقديم مادته اللغوية بصورة هادفة وواضحة، ونذكر منها مثلا: (ما هي الوسيلة التي يمكن اعتمادها لعرض المادة ؟/ ما هي المسائل اللغوية التي تندرج في هذا العرض ؟ كيف يتم تعليم قضايا المحتوى و الشكل في اللغة ؟ هل تختلف نوعية التعليم من درس إلى آخر ؟)¹⁵.

د- التدرج في تعليم المادة اللغوية:

إنّ التدرج في تعليم اللغة والنحو أمر طبيعي، لأنه يتوافق مع طبيعة الاكتساب اللغوي نفسه، فبعد أن يختار معلم اللغة المسائل اللغوية والنحوية التي تُكوّن مادته التعليمية، يتوجب عليه أن يرتب هذه المادة على نحو متدرج، يعتمد فيه على السهولة والانتقال من العام إلى الخاص، فالعملية التعليمية تركز على هذا المبدأ، وتعمل على تطبيقه في أية عملية، لأنها تسعى إلى إكساب

المتعلم مهارة لغوية معينة ، ولهذا يجب أن تدرس القاعدة العامة قبل الخاصة.

هـ- التمرين اللغوي:

يعتبر التمرين اللغوي في مجال تعليمية اللغات مقوّمًا بيداغوجيا هاما، باعتباره فضاء رحبا ، يمكن المتعلم من امتلاك القدرة الكافية على الممارسة الفعلية للحدث اللغوي، وتقوية ملكته اللغوية وتنوع أساليب تعبيره، وذلك بإدراك النماذج الأساسية التي تكون الآلية التركيبية للنظام اللساني المراد تعليمه¹⁶.

ومن هذه الإجراءات التي ذكرنا في تعليمية اللغات يمكن أن نستفيد منها لتفعيل تعليمية القواعد النحوية، ويمكن استخلاص الأمور التالية:

- أن نبسط مادة النحو من الناحية المنهجية والتطبيقية.
- أن نعوّد التلاميذ سماع الأساليب العربية الصحيحة ومحاكاتها.
- أن نجعل فروع اللغة العربية في خدمة النحو كالبلاغة والصرف.
- أن نراعي الفروق الفردية ومستويات التلاميذ ونموهم اللغوي.
- أن نضع الأهداف الواضحة عند تدريس النحو العربي.
- أن نركّز على المباحث النحوية الوظيفية التي تستعمل في العصر الحاضر خاصة.
- أن نلتزم منهجية واضحة وسهلة في تقديم المباحث النحوية.

3- طرائق التدريس:

أصبح اختيار الطرق الملائمة لتدريس النحو العربي، وتحديث أساليب تدريس قواعده أمرا ضروريا، مع وجوب ربطه بالحاجات الحضارية المتنامية لمجتمعنا العربي، وإحالة إلى مادة قابلة للتذوق، بعيدا عن الاستظهار والحشو والتكديس والحفظ عن ظهر قلب. لذا فاختيار الطرق الناجعة لتدريس النحو وقواعده على الوجه الصحيح والسليم، هو باب هام من أبواب تعليمية النحو العربي، فقد لقي اهتماما من ثلّة من الباحثين والدارسين في العصر الحديث. وطرق تدريس القواعد متعدّدة أهمّها ما يلي:

أ- الطريقة القياسية:

وهي طريقة يكون الاعتماد فيها على المعلم، إذ يُعتبر العنصر الإيجابي في عمليّة التدريس، والأساس الذي تقوم عليه هذه الطريقة هو ذكر القاعدة أولا أو بعض المفاهيم المتعلقة بموضوع معين، ثم شرحها القاعدة من خلال الأمثلة، ليجيء التطبيق أخيرا¹⁷.

ولكنّ هذه الطريقة لقيت انتقادا كبيرا، لأنّ المتعلّم فيها طرف سلبي في العملية التعليمية، فهو يتلقّى المعلومة دون إثارة إشكالات في تلقي المادة، فيفاجئ بالقاعدة مباشرة، فيكون سببا في الصعوبة لأنّ المبدأ التربوي يقتضي الانتقال من السهل إلى الصّعب، ولأنّها أيضا تُضعف في المتعلّم القدرة على الاستنتاج والابتكار، لاعتمادها على التلقين في حفظ القواعد واستظهارها¹⁸.

ب- الطريقة الاستقرائية:

وهي طريقة وضع أسسها التربوي الألماني "يوهان فريدريش هربارت"¹⁹، وهي تستند على أساس فلسفي مؤداه أنّ الاستقراء هو الأسلوب الذي يملكه العقل في تتبع مسار المعرفة، ليصل به إلى المعرفة الكلية، وهي تعتمد على خمس خطوات هي: المقدمة والعرض والربط والقاعدة والتطبيق، فهي تنطلق من الأمثلة ومن خلال الشرح والمناقشة، وبطريق الاستقراء يتوصل المتعلم إلى

القاعدة ليجيء التطبيق عليها²⁰. وهذه الطريقة متبعة في أغلب الدول العربية خاصة في التعليم الثانوي، ولقد أُلّف كتاب "النحو الواضح" لعلي الجارم ومصطفى أمين على هذا الأساس.

ومن محاسن هذه الطريقة أنّها هي خير معين لتحقيق أهداف القواعد النحوية، إذ إنّها تُوصل إلى الحكم والقاعدة بالتدرّج بطريق الاستقراء، وهذا ما يجعل القاعدة راسخة في الذهن وغير معرّضة للنسيان، كما أنّها تهتمّ بالمتعلّم والمعلّم على حدّ سواء، فهما يشتركان في عملية التدريس، فبين الأخذ والرّد يحدث التواصل اللغوي، فهو يؤثر إيجابيا على نفسية المتعلّم، لأنّه يجد نفسه قد فهم وشارك وأبدى بآرائه في العملية التعليمية²¹.

ج- الطريقة المتكاملة:

وتسمى طريقة النصوص المعدّلة، فهي تعتمد على دراسة القواعد النحوية في ظلّ اللغة، ويكون ذلك بالاعتماد على نصّ كامل من النصوص العربية، بدلا من الأمثلة والشواهد المتفرقة، فشواهد الدرس تُستخرج من النصّ، إذن فالقاعدة تُدرّس ضمن سياق متّصل لا منفصل، والمتعلّم لا يحفظ الجملة دون أدنى وعي، كما يحصل في الطريقة الاستقرائية. وبذلك يستفيد المتعلّم فوائد كثيرة، بفهم المعنى واستنباط القاعدة، ثم التطبيق عليها²².

وظهرت هذه الطريقة في الأربعينات من القرن الماضي بظهور موجة الدعوة إلى التيسير، ككتاب "النحو الجديد" لعبد المتعال الصعيدي، ولقد دُرّست القواعد النحوية بهذه الطريقة في البلدان العربيّة، ولقيت راجا في الأوساط التعليمية، لما لها من رسوخ اللغة وأساليها رسوخا مقرونا بخصائصها الإعرابية، كما أنّها تعتمد على المران المستمد من الاستعمال الصحيح للغة في مجالاتها الحيوية، وفي استعمالها الواقعي، وهي أسرع من الطريقة الاستقرائية التي تحتاج إلى عدّة خطط للوصول إلى نتيجة²³.

ولا فرق بين هذه الطريقة والطريقة الاستقرائية من حيث الأهداف العامة، ولكنّ الفرق يكمن في كونها تعتمد على نصّ متكامل يعبر عن فكرة متكاملة، في حين تعتمد الطريقة الاستقرائية على مجموعة من الأمثلة أو الجمل التي لا رابط بينها. ومن محاسن الطريقة التكاملية أنّها تمزج القواعد باللغة نفسها، وتعالجها في سياق لغوي علمي وأدبي متكامل، وأنّها تُقلّل من الإحساس بصعوبة النّحو، وتظهر قيمته في فهم التراكيب وتجعله وسيلة لفهم اللغة وامتلاك ناصيتها.

خاتمة:

خُصّ هذا البحث إلى النتائج التالية:

- أنّ القواعد النحوية وسيلة تعليمية هامة في ضبط اللسان من الأخطاء والوقوع في اللحن، إذ إنّها تعمل على تحقيق سلامة التعبير مشافهة وكتابة، ولكّنها تحتاج إلى كثرة التدريب وملاحظة طرائق استعمال اللغة والمواقف اللغوية التي تمكّن المعلمين من فهمها، واستخدامها استخداما سليما، كما أن لها دورا في زيادة الثروة اللغوية وتنميتها عند التلاميذ.
- يجب على واضعي مناهج اللغة العربية عامة، والقواعد النحوية خاصة مراعاة الحاجات التعليمية، بتنمية مهارات وقدرات التلاميذ، وذلك من خلال مراعاة مستويات التلاميذ، وتيسير هذه القواعد لتتماشى مع روح العصر، وتحسين طرق عرضها وترسيخها من خلال الاطلاع على الأسس النظرية التي تقوم عليها في إطار ميدان تعليمية اللغات.
- ينبغي دوما تحديد الهدف التعليمي لكل التمارين اللغوية، وذلك بتحديد الهدف منها، لكونها تسهّل على المعلم اختيار النوع المناسب من التمارين للهدف المناسب والمستوى المناسب.

- يجب اعتبار النّحو وسيلة لا غاية في حدّ ذاتها، وهذا لتحقيق الكفاءة اللغوية، والارتقاء بمستوى التلاميذ لإتقان اللغة العربية، مع استخدام الوسائل التفاعلية في تدريس النّحو.
- يجب الاستفادة من المناهج الحديثة في التدريس كتعليمية اللغات، واختيار الطرق الملائمة لتدريس النّحو العربي.
- يجب تربية ذوق الطالب على العربية الفصحى قراءة وكتابة وحديثاً، بالنصوص الكثيرة باللغة الفصحى، ولا بدّ من أن تكون المقرّوات والمحفوظات منتقاة انتقاء ذكياً مدروساً لتناسب مع سنّ الطالب وذوق العصر، ولتكون قادرة على النفوذ في وجدان الطالب لتربيّ ذوقه وتطبع فكره وذوقه ولسانه على هذه اللغة إذا فعلنا ذلك فإن النحو سيكون تقويماً للغة التي أحبها الطالب ونشأ عليها، لا أن تكون شيئاً غريباً عنه لا يحسن بفائدته.
- إيفهام الطالب دور اللغة في تفعيل التفكير وتطوير الحياة، وتبادل الأفكار والآراء، وإيقافه على أهمية الكلام الصحيح في مجالات الإعلام والتأليف والترجمة والإبداع الأدبي - ودور النحو في تقويم اللغة وصحتها. لتكون فائدة النحو ملموسة مادياً ومعنوياً لدى الطالب.
- لا بدّ لمنهج التدريس في النحو أن يأخذ بنظر الاعتبار الإطار النفسي والسمات الجمالية. فالإنسان مفطور على حبّ الجمال، وكلّما كان الإطار الذي يُقدّم فيه النحو أقرب إلى الجمال كان النحو محبباً أكثر.
- يجب التفريق بين تعليم الملكة اللغوية وبين تعليم قوانين هذه الملكة، فطرق تعليم القوانين لا تكسب صاحبها الملكة ولو أصبح من أكبر النحاة، بل إن تعليم الملكة اللغوية مستغنية عن القوانين كما قرر ذلك عبقرى الأمة العربية الإسلامية العلامة ابن خلدون.
- يجب مراعاة الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي، فالنحو العلمي هو كغيره من العلوم يمكن أن يكون فيه التحليلات والتعليقات العميقة التي لا يفهمها إلا المتخصصون في الميدان، أما النحو التعليمي فهو النحو المذهب الذي تراعى فيه مستويات الدارسين، وتقدم فيه المادة العلمية في أسلوب شيق ومناسب لكل مستوى من مستويات الدراسة.
- يجب تناول نصوص مألوفة في تعبير الطلاب وحياتهم اليومية والعلمية، والابتعاد عن النصوص الصعبة والمليئة بالألفاظ الغريبة.
- يجب أن تركز الاختبارات والامتحانات النهائية على قياس مدى تحقّق "الأهداف" التي يحددها التربويون للنحو، وهي إتقان التعبير العربي السليم نطقاً وكتابةً، ، وعليه يكون الثقل الأساسي في العلامات، لا على استظهار القواعد، أو إتقان الإعراب، وهذا أمر - لو تمّ - سيؤدي إلى اهتمام أكبر من قبل الطلاب والمعلّمين

إِحَالَاتُ الْبَحْثِ

- ¹ ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، ص 545.
- ² الجوّاري (أحمد عبد الستار): نحو التيسير، ص 02.
- ³ ظافر (محمد إسماعيل) وآخرون: التدريس في اللغة العربية، ص 281.
- ⁴ بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيّد يعقوب بكر، ورمضان عبد التّوّاب، ج 02، ص 124.
- ⁵ ينظر: إسماعيل (زكريا): طرق تدريس اللغة العربية، ص 200/ ورواي (صلاح): الطريقة المثلى لتدريس قواعد النحو في مراحل التعليم العام المختلفة، ص 52/ ونقودي (صباح): تعليمية القواعد النّحوية ودورها في تنمية اللغة لدى تلاميذ السنة الثالثة متوسط، ص 20 وما بعدها.
- ⁶ عيساني (عبد المجيد): النحو العربي بين الأصالة و التجديد، دراسة و صافية نقدية لبعض الآراء النحوية، ص 62.
- ⁷ أبو المكارم (علي): أصول التفكير النّحوي، ص 07.
- ⁸ إبرير (بشير) وآخرون: مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، ص 84.
- ⁹ نقودي (صباح): تعليمية القواعد النّحوية ودورها في تنمية اللغة، ص 17-18.
- ¹⁰ نقودي (صباح): تعليمية القواعد النّحوية ودورها في تنمية اللغة، ص 17-18.
- ¹¹ زكريا (ميشال): مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 15.
- ¹² زكريا (ميشال): مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 15.
- ¹³ الحاج صالح (عبد الرحمن): أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص 42.
- ¹⁴ الراجحي (عبد): علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ص 71.
- ¹⁵ حساني (أحمد): دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 145.
- ¹⁶ حساني (أحمد): دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 147.
- ¹⁷ نسيم (حمار): إشكالية تعليم النحو في الجامعة، ص 123.
- ¹⁸ قاسي الحسني (محمد المختار): تعليمية النحو، ص 436.
- ¹⁹ يوهان فريدرش هاربرت (Johann Friedrich Herbart): (1776-1841) فيلسوف وتربوي ألماني، أثر كثيرًا في نظرية التربية في نهاية القرن التاسع عشر، وكان يعتقد أن التربية مرتبطة كثيرًا بالأخلاق (دراسة أنماط الصواب والخطأ) وعلم النفس. ينظر: طرابيشي (جورج): معجم الفلاسفة، ص 698.
- ²⁰ غازي (نعيم): أساليب تدريس قواعد اللغة العربيّة، ص 214-216.
- ²¹ نسيم (حمار): إشكالية تعليم النحو في الجامعة، ص 125.
- ²² ونوغي (إسماعيل): تعليم قواعد اللغة العربية في المرحلة الثانوية، ص 63.
- ²³ نسيم (حمار): إشكالية تعليم النحو في الجامعة، ص 125.

مَرَايِجُ الْبَحْثِ

- 1- إبرير (بشير) وآخرون: مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2009.
- 2- إسماعيل (زكريا): طرق تدريس اللغة العربية، (دط)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2005.
- 3- بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيّد يعقوب بكر، ورمضان عبد التّوّاب، (دط)، مصر، دار المعارف، 1975.

- 4- الجوّاري (أحمد عبد الستار): نحو التيسير، دط، بغداد، مطبعة سليمان الأعظمي للنشر، 1962.
- 5- الحاج صالح (عبد الرحمن): أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد 04، الجزائر، 1974.
- 6- حساني (أحمد): دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ط1، الجزائر، ديزان المطبوعات الجامعية، 2000.
- 7- ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، ط1، بيروت، دار القلم، 1978.
- 8- الراجحي (عبد): علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، (دط)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995.
- 9- روي (صلاح): الطريقة المثلى لتدريس قواعد النحو في مراحل التعليم العام المختلفة، (دط)، القاهرة، دار غريب، 2009.
- 10- زكريا (ميشال): مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ط2، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985.
- 11- طرابيشي (جورج): معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006.
- 12- ظافر (محمد إسماعيل) وآخرون: التدريس في اللغة العربية، دار المريح للنشر والتوزيع، الرياض، دط، 1984.
- 13- عيساني (عبد المجيد): النحو العربي بين الأصالة والتجديد دراسة و صفة نقدية لبعض الآراء النحوية، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2008.
- 14- غازلي (نعيم): أساليب تدريس قواعد اللغة العربية، مجلة مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع15، 2012.
- 15- فاسمي الحسني (محمد المختار): تعليمية النحو، أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001.
- 16- أبو المكارم (علي): أصول التفكير النحوي، ط1، القاهرة، دار غريب، 2006.
- 17- نقودي (صباح): تعليمية القواعد النحوية ودورها في تنمية اللغة لدى تلاميذ السنة الثالثة متوسط، كتاب اللغة العربية أنموذجا، رسالة ماستر، من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2014.
- 18- نسيم (حمار): إشكالية تعليم النحو في الجامعة، جامعة بجاية نموذجاً، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.
- 19- ونوغي (إسماعيل): تعليم قواعد اللغة العربية في المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراه من قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011.